

## (ح) مميزات الحماسة الجاهلية :

قال الدكتور زكي المحاسنى : « طول مشاهدة العرب للمعارك أكسب شعراءهم دقة وصفها وحسن تصويرها .، وهل كانت المعارك في حياة العرب إلا مناط عزم ومدار فخرهم ، يردونها ولا وجه أمامهم سوى الموت . لقد رخص كل شيء لديهم من حطام الدنيا ، ولم يكن من حطامها بين أيديهم سوى قليل . وغلا لديهم كل ما رافق المروءة والشهامة ، فكانت شجاعتهم أدعى لهم إلى الحرب . على أنهم لم يطرحوا سداد الرأي ، وإنما كانوا في حروبهم يقبلون أوجهه ليصلوا إلى أيها الأسد ، ولم يكن وصف شعرائهم للمعارك وصفاً مطولاً يأخذ بالكلام من أوائله حتى ينتهي إلى أواخره كما تدعو الحوادث ، فليس لديهم قصائد تمسك بأوائلها حتى تبلغ نهايتها ، فترك صورة معركة منذ بدء الواقعة إلى ختامها ، وإنما هي فقرات شعرية لمحات وصف مقتضبة متجزئة ، يتبين فيها الروح العربي البياني الذي انطوى ، منذ كان ، على الاختصار في سرد الصور ، أو الزهد في التقصي ، ونحن إذا وجدنا منها مطولات في موضوع الحرب ووصف المعارك ، فإننا لا نجد فيها وحدة متناسقة في الموصوفات المتشابهة . ولقد يتاح لنا بعد عصر الجاهلية أن نلم بقصائد كاملة ، يصف شعرائها المعارك التي شهدوها أو قيلت لهم ، ولكنها قليلة ، وسبب ذلك حب الانطلاق من قيد المعاني والانفلات من استقصائها ، لضيق القافية الراتبة واتساع المعاني المتوالدة ، إذ كان يؤثر الشاعر العربي الخروج من موضوع إلى آخر ، ومن صورة لم يكمل وصفها إلى غيرها من الصور . . . ولقد أحاط شعراء الجاهلية بأوصاف السلاح وعدة الحرب بما لم تحط به أمة من أمة من الحرب . فحذقوا الكلام عليها ، وأجالوا البيان في وصف آلاتها ، وأكثروا من العناية بتصويرها وتصويرها ، حتى ألموا بدقائقها وأشكالها . وكان هذا الشعر الواصف للعدة والسلاح شغل شعراء العرب الشاغل ، ودأبهم في